المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

التمثُّلات الإيديولوجية في رواية الهشيم لجهاد مجيد

م.د. مروة عبد الخالق بدري
كلية المستقبل الجامعة - العراق

م.د. علي جواد عبادة
جامعة ساوة الأهلية – العراق
البريد الالكتروني: ali.jawad@sawa-un.edu.iq

الملخص

يحاول البحث الوقوف على تمثلات الإيديولوجية في رواية الهشيم من خلال رصد أهم الإيديولوجيات المهيمنة في المتن الحكائي للرواية الذي تنهض به الشخصيات الفاعلة في سيرورة الأحداث وتطوراتها ولاسيما شخصية البطل ؛ بغية الامساك بالبعد البولوفوني للرواية ، والجدل الإيديولوجي الذي يفصح عن هويات الشعب ، ومرجعياته الثقافية ، ورؤاه ، وتطلعاته ، السيسوثقافية .

لقد اختطّ البحث منهاجاً اجرائياً لفحص التمثلات الإيديولوجية في رواية الهشيم من خلال تمهيد وقفنا بها على مفهوم الإيديولوجية ، وثلاثة مباحث اختص الأول بتقديم إضاءة مكثفة حول رواية "الهشيم" للوقوف على مبناها الحكائي ، وفضائها السردي ، في حين رصد الثاني أهم الإيديولوجيات التي ظهرت في الفضاء الروائي ، ووقف الأخير على الجدل الإيديولوجي على أنه مرتكز الرواية ، ومكمن الإفصاح عن براعة الروائي في تشييد عوالمها السردية.

الكلمات المفتاحية: التمثُّلات الإيديولوجية، رواية الهشيم، جهاد مجيد.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.408

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

Ideological Representations in the Novel of Wildfire by Majeed Jihad

Dr. Marwa Abdel Khaleq Badri
Al-Mustaqbal University College - Iraq

Dr. Ali Jawad Obada
Sawa National University - Iraq
Email: Ali.jawad@sawa-un.edu.iq

ABSTRACT

The research attempts to identify the ideological representations in the wildfire novel by monitoring the most important dominant ideologies in the narrative body of the novel, which are promoted by the active personalities in the course of events and their developments, especially the hero's personality. In order to capture the Polish dimension of the novel, and the ideological debate that reveals the identities of the people, their cultural references, their visions, and their sisos-cultural aspirations.

The research has planned a procedural approach to examining the ideological representations in the Wildfire novel by paving the way for us to the concept of ideology, and three sections, the first specialized in providing intense illumination about the "Wildfire" novel to determine its narrative structure and its narrative space, while the second monitored the most important ideologies that appeared in space. The novelist, and the latter stood on the ideological controversy as the basis of the novel, and the disclosure of the novelist's ingenuity in constructing its narrative worlds.

Keywords: Ideological representations, the wildfire novel, Jihad Majeed.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.408

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

المقدمة

ينهض الأدب الروائي بمهمة تمثيل الهويات الثقافية للشعوب ، والافصاح عن رؤيتها للعالم من خلال تمثيل البعد الإيديولوجي للشخوص التي تتحرك في فضاء العمل الروائي ، تأتت هذه المهمة من خلال قدرة لغة الفن الروائي على الافصاح عن تفصيلات الواقع ، وجعل القارئ يندرج معه بحثاً عن تفاصيل حياته فضلاً عن قدرته على حمل تطلعات الشعوب ، والتعبير عن مرجعياتهم الثقافية والاجتماعية والدينية والسياسية .

تحاول هذه المقاربة الوقوف على رواية "الهشيم" من ثلاثة مباحث: يقدم الأول إضاءة عامة لمجريات الأحداث في الرواية ، أو بتعبير أكثر دقة يقدم تصوراً مختزلاً لحركية الأحداث والشخصيات في عالم الرواية ، في حين يتوقف المبحث الثاني على رصد التمثلات الإيديولوجية التي مثلها الأشخاص داخل المتن الحكائي لرواية الهشيم ، وهذا المحور يقودنا إلى تساؤل عن مدى اتسام الرواية ، أو ما قدرة جهاد مجيد على تحقيق البعد البولوفوني وجعل الرواية متعددة الأصوات ؟ سيتوقف المبحث الثالث على الإجابة عن هذا التساؤل عبر بيان قدرة الروائي على تمثل الإيديولوجيات المختلفة عن الإيديولوجيا التي يتبناها ومن ثم عرضها وكأن الروائي يقف على مسافة واحدة من جميع الأفكار والتوجهات ، وقد سبق هذه المباحث تمهيد حددنا فيه مفهوم الإيديولوجيا فلسفياً وعند منظري الأدب.

التمهيد : مفهوم الإيديولوجيا

لم تكن الإيديولوجية مفردة عربية في أصلها واشتقاقها ؛ لذا خلت المعاجم العربية من تحديد لها ، أو تسوير لبعدها اللغوي على أقل تقدير ، وأن شيوع هذا المصطلح وتعدد المجالات الثقافية والمعرفية التي تناولته جعل حدوده متباينة بحسب نوع التوجه الذي يحدده أو يمنحه هوية مفاهيمية واصطلاحية واضحة ، فهي عند الاتجاه الماركسيّ كما يقول الحمداني (1990) "تُمثل شكلاً من أشكال الوعي السياسي ، والديني ، والفني ، والأخلاقي"(ص23) ويرى الدكتور شكري عزيز الماضي (2005) أن الإيديولوجيا **(مجموعة من المفاهيم والأفكار الاجتماعية والتصورات التي تعبر عن مواقف محددة تجاه الإنسان بالعالم الطبيعي وعلاقته بالعالم الاجتماعي)(ص103)** ، وهذا يمكننا من نعت الإيديولوجيا بالعلم الذي يدرس الأفكار والرؤى والتصورات لذاتها.

ثمة وجهة نظر أخرى للإيديولوجيا يطرحها نقاد الأدب والمشتغلون في نظريته لاسيما ميخائيل باختين (2009) فالإيديولوجيا عنده جزء لا ينفك عن بنية النص ؛ كونها تؤسسه ، وهو ينبني عليها(ص35) وهذا يعني أن الإيديولوجيا عنده تتحقق على صعيدي الشكل والمضمون .

تأسيساً على ما تقدم يمكن حصر الإيديولوجية في الرواية بمجموعة الأفكار التي تظهر بها الشخصيات الفاعلة في حركة أحداث الرواية ، وتحدد علاقة الشخصيات بالآخر المختلف إيديولوجياً والمؤتلف معها في التوجهات والرؤى والأفكار .

المبحث الأول : الهشيم إضاءة عامة

"عدنان" بطل الرواية يستثمر طريقة المنلوج في عرض الأفكار ويعبر عنها على صعيد اللغة بضمير المخاطب على امتداد الرواية إلا في لحظات الحوار مع الشخصيات ينتقل السرد إلى الدايلوك ويعبر بطريقة المتكلم ،ويمنح الشخصيات قدرة التعبير عن نفسها بضمير المتكلم .

منذ اللحظات الأولى لانطلاقة السرد يرسم "عدنان" صورة مثالية له صورة النقي النزيه الذي يمقت كل ما لا يحترم الإنسان لإنسانيته ، يرسم صورة لإنسان رفيقه الكتاب ، وأنيسة وحشته الكلمة في زمنٍ قلَّما يُلتفت إلى أصحاب الضمير الحي ، فتسلمه هذه الحال إلى الفقر والفاقة ، يطلب منه رفيقه "خالد" أن يجد له فرصة عمل داخل مؤسسات الدولة فيصد عنه ، وينهره ، ويؤنبه على هذا الطلب الذي ينافي ضميره ؛ لأن العمل في مؤسسة

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.408

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

تابعة لدولة ، لا تراعي الكادحين يُعدّ ظلماً وبهتانا ، فيلجأ إلى بيع المكتبة التي أفنى حياته بين رفوفها بحثاً عن الضمير النابض خلف طيَّات الكتب ، يبيعها من أجل أن يستبدل غذاء العقل بغذاء الجسد ؛ لأنه أصبح رثاً هزيلاً لا يمتلك قوت يومه .

باع كتبته ، وأشترى بثمنها ما يستر رثاثة منظره ، وما يلبي نداء أمعائه ، تنعَّم بثمنها لبساً ، وأكلاً ، وشرباً ، وليال حمراء ، بيد أنه شَعر أن ما لديه من نقود بدأ يتلاشى ، وبدأت حاله تعود نحو الهاوية ، صوب نقطة الصفر ، طفق إلى زميله "خالد سعيد" يطلب منه أن يجد له عملاً في الدولة ؛ لأن الفاقة لا ترحم ، أخبره "خالد" بأن الوظيفة التي قال له بها ورفضها قد شُغلت وليس لديه ما يُشغله به الآن ؛ لكنّه وعده أنه سيتوسط له ، ويجعل والده يحثّ معارفه ؛ ليجدوا له عملاً ، بمعونة "خالد" ووالده حصل "عدنان" على عمل بالواسطة التي كان يرفض حتى الحديث بها ، توظف في دائرة توحي بأنها مقر لجريدة تخص الدولة ، ومنطلقاتها ، بدأ رحلته في هذا العمل مع رفاقه الجدد "عبد علي" ، و"عبد الأمير" و"محمود" و"ساهرة" ، سكنَ في غرفة وحده ، وسرعان ما طردته صاحبة الغرفة ، فسكن مع "عبد علي" و"محمود" في شقتهما ، وفضل حياة العيش منفرداً عنهما لا يقترب منهم إلا في الأيام التي تأتي "سوسن" الغجرية الشقراء ، عانى في العمل من صدود "ساهرة" ، وتمنّعها عنه ؛ لأنها مشغولة بحب "عبد الأمير" ، قُتِلَ "عبد الأمير" بعد اعتقاله لظروف غامضة ، ، وجاءوا بجثته إلى الشقة أخذ الجثة إلى أهلها في طويريج هو وصاحبه "عبد علي" ، وبدأ يعيش قلقاً نفسياً بأن "عبد علي" في أعماقه وأن السلطة تطارده في الشارع يركض ، فيركضون خلفه ، ويرمونه بالرصاص ، وصافرات الإنذار تملأ المكان ضجيجاً ، فيضطر إلى المواجهة معهم ، وتنتهي الرواية نهاية مفتوحة بالمواجهة لا يعرف مصير "عدنان" إلى أين ؟!

المبحث الثاني : تمثُّلات الإيديولوجيا

شهد تاريخ العراق الحديث منذ بواكير تأسيس الدولة العراقية ثلاث آيديولوجيات كبرى : القومية العربية ، الماركسية ، والإيديولوجية الإسلامية ، ولما كانت الإيديولوجيا تعني كل تفكير يحاول أن يُمجّد الوضع السائد ، لأسباب وغايات تخصّه ، على ما هو عليه(صالح2017،ص22) ستكون هذه الفقرة رصداً للتمثلات الإيديولوجية التي تبنتها الشخصيات في رواية "الهشيم" ، رصداً وصفياً ، سواء أكان هذا التمثل الآيديولوجي نابعاً عن قناعة من قِبل الشخصية أم غير ذلك .

وأول هذه التمثلات الآيديولوجية تظهر في شخصية "عدنان" البطل ، فالقارئ للفصلين الأول والثاني لا يُساوره الشك في كون المتحدث ينتمي إلى الفكر الماركسي ؛ ذلك من خلال توظيفه لكلمات تنتمي إلى المعجم الشيوعي - إن صح التعبير- نحو : (طبقة عاملة ، كادح ، طبقة الفلاحين ، المساواة) ، فضلاً عن بعض المشاهد التي تجعل القارئ يتنبأ بأن الشخصية هنا هي شيوعية بامتياز من ذلك مشهد بيع الكتب : (**طرحتها كلها على الأرض دونما تمييز حتى مجموعة الكتب المهداة إليك من إدارة المدرسة تلك المجموعة التي ظلت مصدر زهوك وفخرك لفترة غير قصيرة ، رميتها في سوق الكتب دونما تفريق ، دونما عناية ، دونما أسف ماركس إلى جانب ستالين ونجيب محفوظ إلى جانب السياب وغارودي وبلزاك تكدسوا فوق بعضهم لم تلق عليهم نظرة وداع أخيرة ، قبضت ثمنهم بيد ، بيد متلهفة بعتهم كلهم بتسعة دنانير..**) (مجيد ،2010،ص150) ، فقارئ هكذا مكتبة تحفل بكتب الشيوعيين أمثال ماركس واستالين وتحفل بكتب أدباء اهتموا بالأدب الواقعي أمثال بلزاك ونجيب محفوظ والسياب يوحي بأنه ينتمي ، أو يتبنى طروحاتٍ وأفكاراً تنتمي إلى الإيديولوجية الشيوعية .

ومن تمظهرات الفكر الشيوعي في شخصية "عدنان" موقفه مع "خالد" حين طلب من الأخير أن يجد له عملاً في مؤسسات الدولة ، فردّ عليه : (**أنا أنبل من أن أعتاش على آلام الناس ...أنا أفضل الموت جوعاً على أن**

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.408

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

أخدم في مكان يلحق الضرر بالآلاف ، أستغرب أن تتجاهل أنني ذي ضمير حي ، كيف تتجاهل نقائي) (مجيد 2010،ص153) ، هذا الموقف الرافض للانتماء إلى مؤسسات الدولة يُظهر آيديولوجيتين في الآن نفسه : الظاهرة : وهي الانتماء الشيوعي لـ"عدنان" ، والخفية : هي انتماء "خالد سعيد" إلى حزب اليمين، الحزب الذي يعيش متبنياً لتوجهات السلطة الحاكمة .

وعلى الرغم من وضوح التوجه الشيوعي لـ"عدنان" داخل الرواية إلا أنه يُفاجئنا بتـــصريحات تـوحي بأنه غـــير منتـم لأحد ، وينعت الانتماءات بالأكاذيب الكبرى (**إكذوبة كبرى كل الانتماءات هل رأيت وجه أحدهم تجلى فيه انعكاس رافض!! أن مجتمعك أسن راكد لا تنمو فيه سوى الدلفى**) (مجيد 2010،ص148) ، ويصرح بوضوح شديد بعدم الانتماء (**لا أحسب نفسي على أية عقيدة ليس هناك عقيدة تستحق أن تكرس لها نفسك ، وتضحي من أجلها ، بل ليس هناك من يخدم عقيدة بصدق وإخلاص)** (مجيد ،2010،ص240) ، هذا التصريح يمثل "عدنان" ولا يمثله في الآن نفسه ، يمثله من حيث أن "عدنان" لم يخلص للعقيدة الشيوعية التي تبناها ، والتي لازمت شخصيته على امتداد الرواية ، ما أخلص لها حين قبل (التعين بالواسطة ، وهذا التعين وصفه لصديقه "خالد" بأن مبادئه تحول دونه) (مجيد ،2010،ص152) ، ولا يمثله لسبب بسيط هو أن "عدنان" على امتداد الرواية يحشر نفسه مع الضعفاء والكادحين همَّه جزء من هموم الطبقة العاملة ، ويؤسفه حال الفلاحين ، وظـلم الإقطاع ، فحضوره داخل السرد حضورٌ ينتمي إلى عقيدة الشيوعيين ، وفكرهم .

مصداق شخصية "عدنان" اللامنتمي يمكن أن نجدها تنبض في رأيه من زواج أمه وأبيه ، وأنه غير مسؤول عنهما (**هما أنجباني ولست أنا الذي أنجبتهما ، هما المسؤولان عن وجودي في الحياة لست أنا)** (مجيد ،2010،ص155) "عدنان" هنا يرسم صورة لنفسه تقف بالضد من فكرة الدين الإسلامي القائل ببر الوالدين ، ويحاول أن يسبغ وجوده بنزعة اللاانتماء ، أن يجنح إلى التفرد والعزلة ، وديناميةالأحداث داخل الرواية لا تؤيد هذه النزعة ؛ لأن "عدنان" شاء أم أبى فهو منضو تحت راية المجتمع ، وتفرده هذا راجع إلى فقره ، وعدم شعوره بالاطمئنان العاطفي ، والفكري ، والوظيفي ، فلاانتمائية "عدنان" نابعة من اغترابه وسط المحيط الذي يعيش فيه وليس إيماناً فلسفياً عميقاً .

وتظهر الإيديولوجية الإسلامية في التوجهات الفكرية لعائلة "عدنان" لاسيما أمه وأخته ، فقد تجلت الإيديولوجية الإسلامية المتبنية لأفكار المذهب الشيعي لاسيما في زيارة الأئمة المعصومين ، وتقديم الهدايا ، والنذور إلى الأضرحة المقدسة .

وينتمي "عبد علي" إلى هذه الإيديولوجية الإسلامية التي تتبنى المذهب الشيعي فكراً وسلوك حياة ، ويُصوّر الراوي مشهد دخول "عبد علي" على رفاقه في العمل (**يدخل عبد علي يحيي بيديه فقط ، ويسرع بالجلوس على منضدته ، انك تُدهش لرؤيته ، رأسه ملفوف بقماش أبيض وقد تخثرت بضع قطرات دم في أعلاه ...)** (مجيد 2010،ص230) ، وبعد حوار نسبي الطول بين عبد علي ورفاقه في غرفة العمل كشف لهم سر القماش الأبيض ، والدم المتخثر عليه ، فهو يردّ على عبد الأمير : (**لم أستطع يا عبد الامير .. هال علي أن أترك عادة مارستها منذ صغري ، حينما رأيت موكبنا يتقدم من الضريح شعرت بيد قوية تهزني ، ترجني رجاً ، كدت افقد صوابي ، ربما غبت عن الوعي ، كان هاتف في أعماقي ، ربما هو أبو عبد الله الحسين ، يحقرني ويشعرني بجبني**) (مجيد ،2010،ص231) .

وتظهر تمثلات الإيديولوجية الإسلامية في نتف فكرية هنا وهناك على لسان بعض الشخصيات لاسيما في سلوكيات "عبد علي" والقاضي الذي حاوره "عدنان" حول فكرة الزواج وعن أمه وأبيه. (مجيد ،2010،ص223)

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.408

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

وثالث هذه الإيديولوجيات تأتي الإيديولوجية القومية التي تشغل حيزا واسعاً من الرواية ، ولا نغالي إذا ما قلنا : أن القومية متغلغلة في فكر جميع الشخصيات الرئيسة والثانوية ما عدا شخصية "عدنان" بطل الرواية فهو غير متبن لها ، ويقف بالضد من طروحاتها بل وبالضد من متبنين طروحاتها لكن شظف العيش ، وفقره جعلاه يتنازل عن هذا المبدأ الذي كرَّس نفسه من أجله ، فقبِلَ التعيين بالواسطة في إحدى مؤسسات الدولة التي تسيّر حركتها الإيديولوجية القومية .

وتمثلات الإيديولوجية القومية في سلوك الشخصيات تظهر عبر ثنائية الخفاء والتجلي ، أو بتعبير آخر : الإيديولوجية القومية تنقسم على قسمين الأولى : غير مُصرَّح بها ، والثانية مُصرَّح بها ، فمن تمظهرات الأولى جميع شخصيات الرواية ما عدا "عدنان" بوصفه شخصية تقف بالضد من الفكر القومي ، فهو حين يقف في ساحة سباق الخيل ينتظر زميله "خالد" ينظر إلى الجماهير **(في مدرج كبير يغض بالحشود . متماسك ... ما هذا؟! هل هم بهذا القدر ؟! منظر يذهلك حقاً انفاسهم . مجرد أنفاسهم تحدث ضجيجاً عالياً . تساءلت ولا تدري لماذا . لو زحف هؤلاء على مــقر (الحـكومة) هل تـستطيع البقاء ساعة واحدة في السلطة ؟ أنهم آلاف)** (مجيد ،2010،ص173) هذا المشهد يكشف عن رغبة الروائي بإرسال خطاباً خفياً إلى القارئ بأن كل الناس يتبنون القومية وهذا الحشد الجماهيري خير مصداق ؛ لأنهم لا يفكرون بالثورة ، أو بالخروج على الحكومة ، وشغلهم الشاغل هو أن ينقضي يومهم بسلام .

أما القومية المصرح بها فقد تحققت على لسان (عبد علي ، وعبد الامير ، ومحمود) بوصفهم موظفين يعملون في مؤسسة تابعة للدولة ، ويروجون للفكر القومي بل يصل تبني القومية بأحدهم حد الهوس والهذيان .

يصور لنا "عدنان" الحوارَ بين "عبد علي" و"محمود" حول عمق تفكيرهم القومي ، فهو ينظر بصمت لهم ويسمع محمود يتحدث :

- **المهم تجميع طاقات الأمة العربية وضرب إسرائيل ضربة واحدة مميتة . نحن مئة مليون**
- **لن نستطيع ذلك والقيادة بيد أعدائنا . سواء كانوا أعداء طبقيين أو خونة وعملاء لإسرائيل . حماقة أن تذهب إلى ساحة القتال تحت إمرة من طراز حكامنا**
- **هناك المقاومة الفلسطينية هناك قيادات لا بأس بها من الممكن النضال معها من اجل هدف مشترك ، ممكن دفع هؤلاء الحكام للمضي قدماً في القضية ، المهم تحرير الأرض المسلوبة** . (مجيد ،2010،ص287)

ويصور الروائي مشهد "عدنان" وهو ينصت إلى هذيان "محمود" ، وهلوساته في الليل : (كيف يحدث ذلك ؟! لقد دفنوا أحياءً.. أخوتي عرب ..مثلي يدفنون أحياءً ؟!! الشذاذ احتلوا أرضنا .. أين كرامة الأمة أين عزتنا ؟!أين أمجادنا ؟! .... ماذا نقول لماضينا ؟! مدننا العالم .. نشرنا الحضارة في كل مكان أهكذا نهان ؟! أهكذا تنتهك حرماتنا ؟!) (مجيد 2010،ص290)

يكاد يكون محمود أكثر المتشددين للأفكار القومية والمتبنيين لها حتى أن القومية صارت هاجساً من هواجسه تنبض في أشعاره ، فيدخل ذات صباح على رفاقه في العمل ، وينشدهم قصيدته التي نظمها :

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.408

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

يا جنـــود الحق هبوا يا أسود

فالليالي الســود تــشتاق البنادق

مزقوا اثماً على أرض الجدود

ناطحوا السحب بأعناق البيارق (مجيد ،2010ص217)

المقام يضيق هنا عرض جميع تمثلات الإيديولوجية القومية المصرح بها ؛ لكثرتها أولاً ، ولوضوحها ثانياً فهي لا تجهد القارئ بمعرفتها كونها تقريرية مباشرة إضافة إلى تجلها عبر مفردات هي من صلب المعجم القومي إن صح لنا التعبير ، نحو : الأمة العربية ، الوحدة العربية ، القومية ، والنضال ، والفداء ، والوحدة

المبحث الثالث : جدل الإيديولوجيات

يدور الجدل في رواية الهشيم بين ثلاث آيديولوجيات رئيسة تحكمت في الدولة العراقية منذ لحظة تأسيسها ، وهي : الإيديولوجية القومية ، وآيديولجية الشيوعيين ، والإيديولوجية الإسلامية ، تقف الشيوعية موقف المعارض للآيديولوجيتين القومية ، والإسلامية ، فبطل الرواية "عدنان" غير مقتنع بالتوجهات الإسلامية التي تمثلت في رغبة الأم في زيارة الاضرحة المقدسة فهو يسخر منها في سره (مجيد ،2010،ص186) ، وتستمر مواقفه بالسلب مع التوجه الإسلامي في الرواية .

أما موقفه مع القوميين يكاد يكون هو الحدث الرئيس الذي من أجله كُتبت الرواية ، فهي بمجملها تصور الصراع الشيوعي القومي ، صراع المبادئ والمصالح ؛ لذا عمد إلى تصوير أدق تصرفات القوميين وأصغرها ، وحاول أن يُصوّر حتى هلوساتهم ، وهذيانات ليلهم القومي ؛ بغية تعريتهم ، وكشف زيفهم ، وتناقضاتهم.

لقد تمثَّل الروائي الإيديولوجيات الثلاث تمثلاً يقترب من مرحلة التشبع والهضم ، ومن ثم التعبير ويبتعد في الآن نفسه فهو حين تحدث بلسان الإسلامين كان حديثه بسيطاً لا ينم عن تمثل حقيقي للتوجه الإسلامي بل عرضه بشكل وصفي خارجي .

أما حديثه عن القوميين فقد اتسم بالتمثل ، والهضم ، والتشبع ومن ثم العرض لكن ما يؤخذ عليه أنه عرضهم من جانب سلبي على امتداد الرواية وهذا يخالف طبيعة الأشياء ، فاستثمر حتى أدق سلوكياتهم ، وحاول أن يعكسها على ادعائهم القومي الإنساني ، فهم يعيشون التناقض بين الإدعاء بالإنسانية ، والميل إلى الغرائز الحيوانية ؛ وأحسب أن دقة الروائي في تصوير رغبات القوميين وميولهم الغريزة جاءت من أجل تقويضهم ، وهدم البنى المتعالية التي يدعونها ، فهم قطيع تسيره الغرائز ، يتظاهرون بأقوالهم يضمرون خلاف ما يفصحون.

ويصور هذا التناقض بعد إلقاء محمود أبياتاً من الشعر يصف بها الجيش ويحرض على الوحدة العربية ، فهو ينظر إليه في سره ويتساءل بحيرة : **(هذا هو محمود بالأمس ؟! المتعري ... هو لا غيره ، لا داعي لتفرك عينيك لتتاكد ؟ انه هو أليس رياء كل هذا ؟ صوتها الناعم ما زال يستحسن شعره ألفاظ ألفاظ يتعاطونها فيما بينهم ، عملة علاقاتهم ، رغم اختلاف هذه الألفاظ وتنوعها فهي ذات منشأ واحد ، هو تصور كاذب لجديتها وفائدتها ، شعره هذا لن يكون ابعد من سمع ساهرة وعبد علي وعبد الامير)** (مجيد ،2010،ص218) ، هنا يقوض الروائي القوميين ، ويحاول زعزعة مبادئهم من الداخل فهم مهزوزون من الداخل يتأرجحون بين أقصى العهر وأقصى الإدعاء بالشرف، ونبل الموقف .

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.408

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

أما حديث الروائي عن الإيديولوجية الشيوعية أي عن البطل "عدنان" فقد اتسم بأحادية الرؤية فهو دائماً : نقي ، صادق ، شهم ، غيور ، محب للمبادئ الإنسانية ، والقيم السامية حتى سلوكياته الغرائزية فهي توحي بأنها من أجل سعادة الإنسان الرابض في ذاته ، لكن الروائي لم يلتفت إلى تحولات الشخصية وصراعاتها الداخلية ، لم يجعل المتلقي يعيش معاناة التحول من الإنسانية القيم المثالية العليا إلى تبني وقبول التعيين بالواسطة في مؤسسة تابعة لألدّ أعدائه ، مما جعل الرواية تفتقر إلى الإقناع ، هذا ما يجعلنا نقول : أن الروائي حاول أن يؤدلج القارئ بفكر يقف بالضد من جميع الآيديولجيات بما فيها الشيوعية؛ لأنه صرح بأن لا جدوى في كل الانتماءات لكن دينامية الحدث تميل صوب كفة الأدلجة الشيوعية ، وأحسب أن الروائي لم يحقق هذه الأدلجة ؛ لأنّ عناصر السرد افتقرت إلى عنصر التشويق ، ولم تحقق الإقناع سواء أكان ذلك على صعيد لغة الرواية ، أم على صعيد طرح الأفكار وعرضها ، فعلى الصعيد الأول جاءت اللغة تشكو من ترهل سردي ، ووصف لا يمتلك قوة يحفز التأويل ، ونمطية في العرض فهو في كل فصل يبدأ من شيء يخفيه عن القارئ ثم يظهره في ختامه وهذا نمطية رتيبة تدعو إلى الملل والسأم ، فضلاً عن الحديث بضمير المخاطب ، واعتماد الرواية كلها على المنلوج ، أحسب أن هذه الرتابة لا تستطيع أن تجعل القارئ يلج عالماً مختلفاً عالماً صاخباً بالرؤى والأفكار والتنوع .

أما على الصعيد الثاني الذي أبعد الرواية عن تحقيق الإقناع هو عدم قدرة الروائي على معالجة التحولات الفكرية بشكل فلسفي عميق .

وخلاصة القول : تعد الرواية في سياقها التاريخي رواية جيدة وجريئة جداً ؛ لأنها حاورت تابو السياسة القامع ، ووقفت بالضد منه ، وهذا بحد ذاته يمثل قوة للرواية ويضيف لها جمالاً خلاقاً ، واشتغالها السياسي يكاد يكون نخبوي كونها ركزت على البعد الفكري للتوجهات اللآيديولوجية وتغاضت عن القمع وعن عذاب السجون وإن لمحت له في مواضع بسيطة لكنه ليس مرتكزاً رئيساً ، إنما مرتكزها هو تقويض البنى الفكرية القومية .

المراجع

1. الحمداني ،حميد النقد الروائي والإيديولوجيا من سيسولوجيا الرواية إلى سيسولوجيا النص الروائي ، 1990م.
2. باختين ، ميخائيل ، الخطاب الروائي ، ترجمة ، محمد برادة ،2009م.
3. صالح ، علي حاكم ، الإيديولوجيا وتمثيلاتها الفلسفية في الفكر العراقي الحديث ، 2017م.
4. الماضي ، شكري عزيز ، في نظرية الأدب ، بيروت :2005م.
5. مجيد ، جهاد ، الأعمال الروائية ، 2010م.

References

1. Al-Hamdani, Hamid, Narrative Criticism and Ideology from the Psychology of the Novel to the Psychology of the Narrative Text, 1990 AD.
2. Bakhtin, Mikhail, the novelistic discourse, translation, Muhammad Barada, 2009 AD.
3. Salih, Ali Hakim, Ideology and its Philosophical Representations in Modern Iraqi Thought, 2017.
4. Al-Madhi, Shukri Aziz, in Theory of Literature, Beirut: 2005 AD.
5. Majeed, Jihad, fictional works, 2010 AD.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.408